

روح المعاني

أعلم بما يقاسي زيد من عمرو إذا كان ما يقاسيه منه أمرا عظيما لا يستطيع شرحه فكأنه قيل : إن إيمانهم عظيم القدر جليل الشأن فكيف أقول لن يؤتيهم الله تعالى إيمانا ثابتا وفيه من التكلف والتعسف ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى به أعلم وحمل الموصوف على أناس مسترذلين جدا غير أولئك ولم يؤمنوا بعد أي لا أقول للذين تزديريهم أعينكم ولم يؤمنوا بعد لن يوفقهم الله تعالى للإيمان حيث كانوا في غاية من رثاثة الحال والدناءة التي تزعمونها مانعة من الخير إلا أعلم بما في أنفسهم مما يتأهلون به لإفاضة التوفيق عليهم وهو المدار لذلك لا الأحوال الظاهرة مما لا أقول به إني إذا أي إذا قلت ذلك لمن الظالمين .

. 31

- لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم أو من الظالمين لأنفسهم بذلك وفيه تعريض بأنهم ظالمون في إزدرائهم وإستردالهم .

ويجوز أن يكون إذا قلت شيئا مما ذكر من حيازة الخزائن وإدعاء علم الغيب والملكية ونفي إيتاء الله تعالى أولئك الخير والقوم لمزيد جهلهم محتاجون لأن يعلل لهم نحو الأقوال الأول بلزوم الإنتظام في زمرة الظالمين .

قالوا يا نوح قد جادلتنا أي خاصمتنا ونازعتنا وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله ومنه الجديل وجدلت البناء أحكمته ودرع مجدولة والأجدل الصقر المحكم البينة والمجدل القصر المحكم البناء وسميت المنازعة جدالا لأن المتجادلين كأنهما يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه وقيل : الأصل في الجدل الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة فأكثر جدالنا عطف على ما قبله على معنى شرعت في جدالنا فأطلته أو أتيت بنوع من أنواع الجدل فأعقبته بأنواع آخر فالفاء على ظاهرها ولا حاجة إلى تأويل جادلتنا بأردت جدالنا كما قاله الجمهور في قوله تعالى : إذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ونظير ذلك جادل فلان فأكثر وجعل بعضهم مجوع ذلك كناية عن التماسي والإستمرار .

وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جدلنا وهو كما قال ابن جنبي إسم بمعنى الجدل ولما جهم عليه السلام وأبرز لهم ما ألقمهم به الحجر ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا : فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل وجوز أن يكون المراد به العذاب الذي أشير إليه في قوله : إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم بناء على أن لا يكون المراد باليوم يوم القيامة و ما موصولة والعائد محذوف أي بالذي تعدنا به وفي البحر تعدناه وجوز أن تكون مصدرية وفيه نوع تكلف إن كنت من الصادقين .

- في حكمك بلحوق العذاب إن لم تؤمن بك .

قال إنما يأتىكم به □ إن شاء أي إن ذلك ليس إلى ولا مما هو داخل تحت قدرتي وإنما هو □ الذي كفرتم به وعصيتم أمره يأتىكم به عاجلاً أو آجلاً إن تعلقت به مشيئته التابعة للحكمة وفيه كما قيل : ما لا يخفى من تهويل الموعود فكأنه قيل : الإتيان به أمر خارج عن دائرة القوى البشرية وإنما يفعله □ تعالى .

وفي الإتيان بالإسم الجليل الجامع تأكيد لذلك التهويل وما أنتم بمعجزين بمصيره سبحانه وتعالى عاجزا بدفع العذاب أو الهرب منه والباء زائدة للتأكيد والجملة الإسمية للإستمرار والمراد إستمرار النفي وتأكيد لا نفي الإستمرار والتأكيد وله نظائر ولا ينفعكم نصحي النصح تحري قول أو فعل فيه صلاح وهو كلمة جامعة وقيل : هو إعلام مواقع الغي ليتقي ومواضع الرشد ليقتفي وهو من قولهم : نصحت له الود أي أخلصته